الخطابْ وَالخطابْ النقديْ

أزمَة مُصْطلحْ أمْ إشْكاليَّة فهْمْ

Discourse and the Critical Discourse

م. د. رائد فؤاد طالب

جامعة البصرة

كلية الآداب . قسم اللغة العربية

Lecturer. Dr. Raad Fuad Talib

Department of Arabic

College of Arts

University of Basrah

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin passed research

من البحوث المشاركة في

مؤتمر العميد العلمي العالمي الثاني

المنعقد تحت شعار

نلتقي في رحاب العميد لنرتقي

وبعنوان

إدارة أزمة المصطلح من الخلاف إلى الاختلاف

للمدة من ٩-١١ تشرين الأول ٢٠١٤م

برعاية العتبة العباسية المقدسة

A research paper taken from
Al-Ameed Journal Second Global Academic Conference under
the Auspices of General Secretariat
of Holy Al-Abbas Shrine
held as of 09 to 11 -10- 2014
Under the slogan

Under the Shade of Al-Ameed
We Do Meet to Augment
Discource Juncture Management from
Dissention to Alterity

ملخص البحث

تعد قضية المصطلح من القضايا التي شكلت معضلة في المدونة النقدية المعاصرة بما تتكئ عليه هذه القضية من إشكالات منهجية وفكرية باتت تعبر عن همٍّ حضاري، لاسيما نحن نشهد سرعة التحولات التي أحدثها الانفجار المعرفي الذي أعاد صياغة كثير من المفهومات، مثلما أسس لمفهومات جديدة ما كانت لتولد لولا هذا المد المعلوماتي الذي اجتاح الحياة في مستوياتها المختلفة .

ومصطلح (الخطاب) احد هذه المفهومات التي طرقت الحياة الفكرية من أبوابها كافة فشكلت ظاهرة بارزة، فأصبحنا أمام تحديدات هائلة، وتوصيفات متشعبة، وإضافات متعددة، فمثلما نكون أمام إضافات لا حصر لها (الخطاب الديني والخطاب السياسي والخطاب الفكري والخطاب النقدي والخطاب الشعري والقصصي والإعلامي و...) فنحن ايضا ازاء مفاهيم لا حصر لها، ليس في دوائر الخطابات المختلفة، بل حتى حين نكون في دائرة الخطاب الواحد كالخطاب النقدي مثلا حين يسحب كل اتجاه نقدي هذا المصطلح الى جهازه المفاهيمي الخاص به فيؤسس مفهوماً للخطاب يعبر عن طروحاته ومنهجه في النقد .

ان مصطلح الخطاب في حقيقته له من الإشكاليات المفاهيمية التي تدعونا لتحديده وضبطه، ذلك أنَّ أي بحث رصين لابد ان يتأسس على قاعدة قوية ودقيقة من استخدام للمصطلح، او كما يقول (فولتير) في كلمته الشهيرة : «قبل ان تتحدث معي ، حدد مصطلحاتك»، فقد اضحى من الضروري الوقوف على هذا المصطلح عربياً وغربياً بما يجعلنا على رؤية واضحة من التعامل مع مفهوم الخطاب والخطاب

النقدي، واستخدام دقيق له، بما يتفق ودراساتنا للخطابات النقدية الحديثة منها والقديمة، العربية وغير العربية.

وقد حاولنا في بحثنا هذا ان نتتبع مسار مصطلح الخطاب معجميا واصطلاحيا في محاولة لتأسيس فهم سليم للمصطلح، وإجراء مسح شامل على مصطلح الخطاب، سواء في القرآن الكريم وتفاسيره ام في المعاجم، والقواميس العربية، وكتب المصطلحات، فضلا عن الدراسات الاصولية التي تناولت المصطلح، ولم نتحدد في تتبعنا لمصطلح الخطاب من خلال الثقافة العربية فحسب، بل حاولنا معالجته ايضا من خلال الثقافة الغربية، وبخاصة القواميس وكتب المصطلحات الغربية، فضلا عن الاتجاهات الفلسفية والنقدية والالسنية.

وللوصل الى صورة واضحة فقد بحثنا في كل المفاهيم التي تمحورت حول الخطاب، وبخاصة تلك المفاهيم المرتبطة بالمنظومة النقدية المعاصرة، كالمفهوم الالسني، والمفهوم الثقافي، والمفهوم الفلسفي، فضلا عن مفهوم الخطاب في ضوء الدراسات التي تناولت موضوع السلطة، يضاف الى ذلك الدراسات التي عالجت مفهوم الخطاب في ضوء البنيوية والمفاهيم التداولية، محاولين تسليط اكثر من ضوء على مصطلحي (الخطاب والخطاب النقدي) لنخرج من ثم بمفهوم دقيق –او هكذا نراه– يعبر عن رؤية نقدية معاصرة للمصطلح ولكل ما يتعلق به من مفاهيم. وختاما فاننا حاولنا جاهدين ان نخرج بمفهوم خاص لمصطلحي (الخطاب والخطاب النقدي) في محاولة اجتهادية ولاعطاء رأينا في قضية هذا المصطلح لعلنا نكون قد قدمنا ما يعكس تطلعاتنا المعرفية لاجل تأسيس ثقافة مصطلحية .

ABSTRACT

The issue of the discourse looms larger in the contemporary concerns as it ramifies into certain intellectual and textual controversies and grows as cultural enigma, in time we are in rapid transformations due to the knowledge explosion that reshapes many a concept and erects new ones. Thereupon the discourse heaves into horizon to be a salient phenomenon, that it is why we are in the welter of certain tremendous challenges, labyrinth description and multitudinous assertions; religious discourse, political discourse, intellectual discourse, critical discourse, poetic discourse, fictional discourse, media discourse and so forth .However, it is to have other legion concepts in a meant discourse itself; for instance, in the orbit of the critical discourse each literary movement drags such a concept into the interest of certain conceptual systems to erect a concept expressing the meant viewpoint.

As a matter of fact, the concept of discourse designates certain conceptual controversies urging us to delimit and adjust it, so for an authenticated research study should depend upon an accurate and established base to employ the discourse as said by Voltaire, in his reputed word: “before starting to talk with me, delimit your discourse“. It is quite convenient to fathom the discourse in the Arab and Western orbits to tackle it in a transparent way in concordance with our studies on the modern or old critical discourse, Arab or nonArab.

In the current paper we endeavor to trace the concept of the discourse in line with dictionaries to found a convenient perception and reconnoiter the concept of the discourse either in the Glorious Quran and its Explication or in the dictionaries, Arab dictionaries, the Western Discourse books and the linguistic, critical and philosophical propensities; that is why we do survey all the references to gain accuracy, in particular, those are pertinent to the contemporary critical system, such as the linguistic concept, cultural concept ,philosophical concept and the discourse concept in light of the studies that focus upon the issue of authority and tackle the concept of the discourse in the orbit of both structuralism and pragmatic concepts ,which is to have the Discourse and the Critical Discourse into the limelight.

... توطئة ...

تعد قضية المصطلح من القضايا التي شكلت معضلة في المدونة النقدية المعاصرة بما تتكئ عليه هذه القضية من إشكالات منهجية وفكرية باتت تعبر عن همٍّ حضاري، لاسيما نحن نشهد سرعة التحولات التي احدثها الانفجار المعرفي الذي اعاد صياغة كثير من المفهومات، مثلما اسس لمفهومات جديدة ما كانت لتولد لولا هذا المد المعلوماتي الذي اجتاح الحياة في مستوياتها المختلفة. ومصطلح (الخطاب) أحد هذه المفهومات التي طرقت الحياة الفكرية من ابوابها كافة فشكلت ظاهرة بارزة، فأصبحنا امام تحديدات هائلة، وتوصيفات متشعبة، واضافات متعددة فمثلما نكون أمام إضافات لا حصر لها «الخطاب الديني والخطاب السياسي والخطاب الفكري والخطاب النقدي والخطاب الشعري والقصصي والإعلامي و...»، فنحن ايضا ازاء مفاهيم لا حصر لها، ليس في دوائر الخطابات المختلفة بل حتى حين نكون في دائرة الخطاب الواحد كالخطاب النقدي مثلا حين يسحب كل اتجاه نقدي هذا المصطلح الى جهازه المفاهيمي الخاص به فيؤسس مفهوما للخطاب يعبر عن طروحاته ومنهجه في النقد.

ان مصطلح الخطاب في حقيقته له من الإشكاليات المفاهيمية التي تدعونا لتحديده وضبطه، ذلك أنَّ أي بحث رصين لابد ان يتأسس على قاعدة قوية ودقيقة من استخدام للمصطلح، أو كما يقول (فولتير) في كلمته الشهيرة «قبل ان تتحدث معي، حدد مصطلحاتك»[1]، فقد اضحى من الضروري الوقوف على هذا المصطلح عربياً وغربياً بما يجعلنا على رؤية واضحة من التعامل مع مفهوم الخطاب واستخدام دقيق له بما يتفق ودراساتنا للخطابات النقدية الحديثة والقديمة العربية وغير العربية.

اولاً: مفهوم الخطاب في الثقافة العربية

من المعروف أن مصطلح (الخطاب Discours) في دلالته المعاصرة مصطلح ترجم عن لغات أجنبية، الا أن اختيار الفكر النقدي العربي لهذه اللفظة العربية من دون غيرها من الألفاظ المحايثة التي استخدمت أحيانا عند بعض الدارسين للدلالة على مفهوم الخطاب كألفاظ (النص والكلام والحديث والأطروحة)؛ أقول إن اختيار لفظة الخطاب من دون غيرها من هذه الألفاظ كان له ما يسوغه في الفكر العربي، أي أن هذا الاختيار لم يكن اعتباطياً، فضلا عن ذلك فان الثقافة العربية كان لها نظرة خاصة للخطاب تعبر من خلالها عن سياقها الخاص الذي اعتمد هذا المصطلح وبمفهومات تعكس النسق المعرفي لهذه الثقافة، ولإدراك مدلولات الخطاب في الثقافة العربية لابد ان نتقصى مفردة (خ.ط.ب) في مجالات عديدة من هذه الثقافة وعلى مستويات الممارسة الفاعلة لهذه اللفظة.

١. تواترت لفظة (خ.ط.ب) في القرآن الكريم كثيرا، اذ بلغ ترددها اثنتي عشرة مرة موزعة على اثنتي عشرة سورة؛ وقد تعددت بعض معاني هذه اللفظة بحسب السياق القرآني الذي وردت فيه وبحسب التركيب الصرفي للمفردة، فقد تأتي للدلالة على الشأن والغرض حين يختص بها المصدر المشتق منها (خطْب) بسكون الطاء[٢]، ففي سورة يوسف عليه السلام يقول تعالى ﴿قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾[٣]، وفي سورة القصص سأل موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين المرأتين اللتين وجدهما تذودان عن السقي ﴿قالَ ما خَطْبُكُما﴾[٤]، وقد تأتي مفردة (خ.ط.ب) للدلالة على كلام حامل لشأن او غرض؛ كما في الفعل خاطب او المصادر المشتقة منها[٥]، اذ ورد في القرآن الكريم الفعل خاطب مرتين في كل من سورتي الفرقان وهود، وهو يقصد مجرد الكلام

كقوله تعالى ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٦]، اما المصدر (خطاب) فقد ورد في سورة (ص) للدلالة على الكلام الحامل لشأن او غرض أيضاً مع اضافة ما يتضمنه السياق من معنى او ما يشير اليه من دلالة بما يجعل مفردة الخطاب تتمتع بشبكة من الدلالات القارة التي تظهر في سياقات مختلفة وبحسب الدلالة الرئيسة في النص، كما في قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾[٧]، فقد اختلف المفسرون ازاء معنى (الخطاب) الوارد في هذا النص، فالزمخشري يرى انه يجوز ان يراد بالخطاب هنا في الآية «القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا اشباع ممل»[٨] او هو «البيّن من الكلام الملخص الذي يتبيّنُه من يخاطب به لا يلتبس عليه»[٩]، فالخطاب عند الزمخشري يأتي بمعنى الكلام البيّن الواضح البليغ الذي يفهمه المخاطَب، أي ان الزمخشري يؤكد وجود ثلاثية مشتركة لانتاج الخطاب المخاطِب الذي يعي ويقصد ما يقول بخطابه البيّن الواضح الموجه الى المخاطَب الموجود في ذهن المخاطِب، اما الامام الرازي في تفسيره فانه يتوسع في المعنى وذلك بان يعطي لدلالة الخطاب صفة القوة العليا التي تحمل معنى التأثير في الآخرين تأثيراً يوحي بالسلطة والقدرة والتميّز، فصفة فصل الخطاب من الصفات التي اعطاها الله تعالى لداود مع ما اعطاه من الملك وجعله من الخلفاء في الارض، معتبراً –الرازي– ان هذه الصفة من علامات حصول قدرة الادراك والشعور، التي يمتاز بها الانسان على اجسام العالم الاخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات، بيد «ان الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عمّا في الضمير، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى والتعبير

عنه الى اقصى الغايات، وكل من كانت هذه القدرة في حقه اكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه اكمل، وكل من كانت تلك القدرة في حقه اقل، كانت تلك الآثار اضعف... لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام».[١٠]

لهذا فان ما قصده القرآن الكريم في سورة (ص) كان الى معنى السلطة اقرب من أي معنى آخر، إذ أعطى الله سبحانه وتعالى سلطات خارقة لداود عليه السلام فسخر له الجبال تسبح معه والطير بالعشي والاشراق، وقوله ﴿وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾ أي مكناه من السلطة الكافية التي ضمنّاها خطابه لاستمرار حكمه في الارض.[١١]

ولذلك فان بعض المفسرين –بايحاء من هذا التفسير او هذه الآية– يسعون الى ان يقرنوا صفة الخطاب –او فصل الخطاب– بكل ما له دلالة بالسلطة او ما يؤدي الى العدل والانصاف في الحكم في مسائل القضاء، اذ ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿فَصْلَ الْخِطابِ﴾ الى ان المقصود هو ان يحكم بالبيّنة او اليمين، وقيل: معناه ان يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحُكم وضده، وقيل: فصل الخطاب، الفقه في القضاء.[١٢]

٢. اما الخطاب في المعجم العربي فنستطيع أن نقول إن هذه المفردة قد تشكّلت دلالتها من السياق القرآني فيما مرّ في الفقرة السابقة، حيث لفظة خطاب بتصاريفها، لاسيما دلالة الكلام، فالخطاب في المعاجم العربية لا يخرج عن كونه دلالة على الكلام، فهو يأتي للدلالة على الكلام بين اثنين[١٣]، وقد يعبَّر به عما يقع به التخاطب بمعنى انه يراد به الكلام الذي يخاطب به الرجل صاحبه[١٤]،

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (خ.ط.ب) «الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطَبَه بالكلام مخاطبة وخطاباً. وهما يتخاطبان... قال ابو منصور: والذي قال الليث: ان الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز الا على وجه واحد وهو ان الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر».[١٥]

اذ يظهر الخطاب في هذا النص بمعنى الكلام الشفوي وبخاصة حين يقترن باشتقاق الخطاب نفسه واعني الخطبة التي هي «اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب»[١٦]، واقتران لفظ الخطاب بالخطبة لا يأتي فقط كونه من الاشتقاق نفسه فقد يقترن هذان اللفظان من خلال الوظيفة، جاء في حديث الحجاج بن يوسف الثقفي «إمنْ اهل المحاشد والمخاطب» أي ان الحجاج اراد ان يقول: أأنت من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن[١٧]، وهذا الكلام يدل على ان الخطاب له قدرة تعبوية، فهو سلطة مؤثرة في السامعين، فرجل خطيب حسن الخطبة يؤثر في سامعيه، والحجاج بوصفه سلطة رسمية يقمع السلطة المعارضة من خلال ضرب سلاحها التعبوي وهو الخطاب، وهذا المعنى السلطوي للخطاب ليس جديدا على الثقافة العربية ولا هو طارئ عليها، فالخطاب مصطلح اقترن بالسلطة مباشرة في الثقافة العربية حتى غدا في الذهنية العامة كل كلام يصدر عن اعلى الهيئات في الدولة وخاصة القائد الاول، وهذا ما جسده الرسول ﷺ قديما، ويجسده الرؤساء حديثا.[١٨]

واذا كان الخطاب قد دلّ فيما سبق على ما هو شفوي فإنه يأتي ايضا ليدل على ما هو مكتوب أي ياتي الخطاب بمعنى الرسالة[١٩]، ولهذا يظهر من المعنى المعجمي لـ (لخطاب) اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة، ويضاف الى ذلك

اللغة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأن (التواصل) في مفهوم هذه الكلمة امر اساسي في تحقق معناها.[٢٠]

٣. بعد هذه المسيرة لمفردة الخطاب من السياق القرآني الى المعاجم اللغوية، اخذت مفردة الخطاب تتشكل في ضوء سياق ثقافي خاص بمرحلة معينة تمثلت في طغيان العلوم العربية التي اختصت بدراسة الدين الاسلامي وبخاصة علم اصول الفقه، اذ عُدّ علم اصول الفقه المحضن الرئيس لمصطلح الخطاب، واذا كان المصطلح –أي مصطلح– حينما ينتقل من دلالته المعجمية الى حقل من الحقول المعرفية فانه يأخذ بالتشكل وفقاً لهذا الحقل او ذاك وهذا لا يعني ان المصطلح سوف يبتعد عن دلالته الاصلية والمتمثلة في المعنى المعجمي، وانما يحاول ان يأخذ دلالات جديدة تقترب او تبتعد عن دلالته الاصلية، وبحسب ما يوظف لصالح الحقل المعرفي المشتغَل فيه، وهذا ما نلاحظه في مصطلح الخطاب، فاهتمام الاصوليين بهذا المصطلح يأتي من كونه يشكل الارضية التي تدور حولها مباحثهم في علم اصول الفقه من معرفة للاحكام الشرعية واستنباط لادلتها وتحليلها ودراستها، وغيرها مما يختص به هذا العلم من دون غيره، يقول الآمدي معرّفاً هذا المصطلح هو «اللفظ المتواضع عليه المقصود به افهام من هو متهيء لفهمه»[٢١]، وهذا التعريف – مثلما نرى – لا يخرج عن المعنى المعجمي للخطاب والمتمثل في (الكلام البيّن الواضح الذي يفهمه المخاطَب به)، الا ان الآمدي يحاول ان يُلبس الخطاب بلباس اصولي وذلك في عبارته «اللفظ المتواضع عليه»، وليس اللفظ سوى الكلام في مفهوم الامدي، اما الامام الجويني فانه يسعى لاعطاء الخطاب صفة شفوية تلتصق بالاحياء من البشر الا انه يضع الفاظاً حافة بالخطاب ومساوية له، يقول: «الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة وهو ما به يصير الحي

متكلما»[٢٢]، وانعدام التمييز والفروق بين هذه الالفاظ هو ما يميز طروحات تلك المرحلة وبخاصة في هذه الحقول المعرفية.

ومثلما هو معلوم ان علم الاصول كان حاضناً لمصطلح الخطاب فان هذا المصطلح اخذ يشكل بعض المصطلحات المرتبطة به، بفعل تشابك علم اصول الفقه مع كثير من العلوم، اذ انتج هذا المصطلح منظومة اصطلاحية صغرى خاصة به، يتصل بها في علاقة مفهومية خاصة ضمن حقل الاصول، مثل (دليل الخطاب)و (فحوى الخطاب) و (لحن الخطاب) وغيرها من الالفاظ التي تعكس الفضاء المعرفي الذي ارتبط به المصطلح.[٢٣]

وعلى الرغم مما طرح من تعريفات ومفاهيم لمصطلح الخطاب الا ان هذا المصطلح اخذ يتحدد وتتضح معالمه على يد التهانوي على رأي كثير من الباحثين[٢٤]، اذ حاول ان يرسم مساره وفقاً للانساق والمفاهيم التي اتصلت به منذ سياقه القرآني ودلالته المعجمية ومروراً بارتباطه المعرفي بالحقول التي اتصلت به، يقول التهانوي معرفاً الخطاب: «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به افهام من هو متهيء لفهمه، فاحترز باللفظ عن الحركات والاشارات المفهمة بالمواضعة وبالتواضع عليه من الاقوال المهملة، وبالمقصود به الافهام عن كلام لم يقصد به افهام المستمع، فانه لا يسمى خطاباً»[٢٥] الخطاب عنده يعني ايضاً «اما الكلام اللفظي او الكلام النفسي الموجه نحو الغير للافهام».[٢٦]

اذ نلاحظ في هذا التعريف الشامل للخطاب ان التهانوي لم يبتعد كثيراً عن الدلالة القرآنية والمعجمية للمصطلح في تأكيده ان الخطاب هو اللفظ بمعنى الكلام، ثم تأكيده ايضاً على قضية القصدية في دلالة الخطاب والحرص على افهام المخاطَب لمضمون الخطاب الصادر عن المخاطِب بمعنى انه اخرج كل كلام مهمل

لا تكون غايته افهام المخاطَب، ثم اننا نرى تشذيب التهانوي للمصطلح وذلك باخراجه العلامات غير اللغوية، اذ لايعتدُّ باستعمالها في الخطاب مثل الحركة والايماء والاشارة؛ ثم اننا نلاحظ ان مصطلح الخطاب لكونه قائماً في اصله على الكلام وانه مرّ بحقول معرفية عدة ابرزها علم الكلام فان هذا استدعى من التهانوي –لشمولية تعريفه للخطاب– ان ينبه على قضية (كلام الله) وما يكتنف هذه المسألة من امور تداخلت مع مصطلح الخطاب فاحدثت اشكالية عقائدية في حينها، فـ (الكلام اللفظي) ليس الا الكلام البشري، اما الكلام النفسي فهو الكلام الالهي، بمعنى ان التهانوي قسم الخطاب الى كلام بشري (لفظي) قائم على التواصل بين المخاطَب والمخاطِب عبر رسالة تواصلية متساوية، وبين الكلام الالهي (النفسي) القائم على رسالة تواصلية متعالية (القرآن) موجهة الى مخاطَبين عبر لغة اتصالية مفهومة.[٢٧]

ثانياً: مفهوم الخطاب في الثقافة الغربية

عُدّ مصطلح الخطاب في الثقافة الغربية من المصطلحات التي نالها كثير من اللبس والغموض، واحيانا اخرى صعوبة في التحديد والتصنيف، وذلك لاسباب عدة، يرجع ابرزها الى ترجمة المصطلح من لغة الى اخرى، والى كثرة الاتجاهات والنظريات –ايضاً– التي حاولت سحب المصطلح الى دائرة اشتغالها مما اعطاه مفهوما يعكس بالدرجة الاولى آليات هذه النظرية او تلك وما ترتكز عليه هذه الاتجاهات من ارضية تجسد واقعا خاصا بها.

ولهذا نرى انه لابد من تقصي هذا المصطلح معجميا كما ورد في ادبيات الثقافة الغربية، ثم تتبع استخداماته بعد ذلك، لننتهي الى المفاهيم التي شكلت ارضية مصطلح الخطاب.

١. مصطلح خطاب Discours، هو مصطلح مأخوذ عن اللاتينية iscoursSus ويأتي فعلها Discurure ومعناه (الركض هنا وهناك)، كما ان كلمة الخطاب تعبر عن الجدل Dialectlaue، والعقل او النظام Logos، وهو ما نجده عند افلاطون والافلاطونية عموما[٢٨]، فالمصطلح في اللاتينية ليس اصلاً مباشراً لما اصطلح عليه بالخطاب، الا ان الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب او ما اشتق منه من معان منذ القرن السابع عشر، فقد دلّ المصطلح على معنى طريق صدفي، ثم المحادثة والتواصل، ودل على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفهية ام مكتوبة عن فكرة ما[٢٩]، وتأتي كلمة الخطاب في اللغة الانكليزية بمعنى اللغة المستخدمة او استخدام اللغة ليس بوصفها نظاماً مجردا بل بوصفها ضروبا منوعة من الدلالات، ويذهب بعض اللغويين الى أن الكلام الذي يقال في حلقة دراسية يمثل كله خطاباً، بمعنى عملية تبادل للأفكار تكتسي ثوباً لفظياً، في حين يرى آخرون أن بياناً واحداً في الحلقة يعد خطاباً، طال او قصر... وقد تستخدم كلمة الخطاب ترجمة للكلمة الروسية Slovo التي قد تعني كلمة واحدة، او طريقة في استخدام الكلمات توحي بدرجة ما من السلطة[٣٠]، وهذا التطور في مدلول الكلمة معجمياً يعكس التطور الطردي الذي لحق المصطلح، وجعله مصطلحاً يتماشى مع تطور الفكر الإنساني وانجازاته على الأصعدة كافة.

٢. للخطاب جانب فلسفي، اذ عُدَّ افلاطون من اوائل الذين حاولوا ضبط المفهوم الفلسفي للخطاب، وشحنه بدلالته الخاصة، استنادا الى قواعد عقلية محددة، الامر الذي يمكن معه تأكيد انه مع تلك المحاولة الأولى بدأت تتبلور ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية[٣١]، فمنذ افلاطون ظهرت محاولات للمماثلة بين الخطاب والعقل وقد عدت من اولى المحاولات لضبط

الخطاب وعقلنته على قواعد تستمد من داخل الخطاب نفسه، اكثر مما تستمد من اصل خرافي او وضعي يفرض بداهة على المقال[٣٢]، فمن المعروف ان الخطاب هو ما يظهره الكلام ومنذ السفسطائيين وسقراط انحصر الخطاب في حدود المعنى واصبحت مهمته تكمن في تخليص المعنى مما هو ظني ونسبي ومتغير لان طبيعته عقلية (لوغوس)، فنكون ازاء حقل او فضاء لا يقدم نفسه على انه ثابت وكلي فحسب بقدر ما يقدم نفسه على انه (نقي) و (ذو معنى)، وهذا المعنى نجده في التفسير الفلسفي للخطاب والقائم على النظام والمنطق، فالخطاب نظام من العمليات الذهنية القائمة على مجموعة من القواعد المرتبة ترتيباً منطقيا فهو عملية ذهنية تنجز بوساطة عمليات اساسية ظرفية ودائمة، وعلى هذا الاساس يعارض الفلاسفة المعرفة الخطابية بالمعرفة الحدسية ويدمجون الخطابي في العقلاني، والخطاب في العقل وذلك لما يتضمنه الخطاب من نظام وترتيب ومنطق في الفلسفة القديمة[٣٣]، أما فيما بعد فقد عُدتّ محاولات ديكارت (١٥٦٩-١٦٥٠) وبخاصة كتابه (خطاب في المنهج) من المحاولات الجادة في تأصيل المصطلح فلسفياً، اذ برز مصطلح الخطاب عنده للدلالة على الخطاب الفلسفي في العصور الوسطى وهي المرحلة التي سبقت عصر النهضة ما جعل الخطاب فيما بعد -وفي العصر الحديث تحديداً- يشكل موضوعاً في الفكر الفلسفي الغربي.[٣٤]

٣. على الرغم من قِدم المصطلح ورسوخه -فيما بعد- في الثقافة الغربية مصطلحاً له اهميته ووظيفته، الا انه قد ناله التعدد والتنوع واحياناً الضبابية التي اكتنفت مفهومه، وذلك بفعل عوامل عدة لعل ابرزها التباين والاختلاف في تحديد مفهومه تحديدا دقيقا وواضحا، مما جعل المصطلح غير مستقر ومضطرباً احيانا، بل متداخلاً احياناً اخرى مع الفاظ لها علاقة قريبة او بعيدة مع مصطلح

الخطابمثل (كلام، محاضرة، حوار، محادثة، نص، اطروحة... الخ)، هذا من جهة ومن جهة اخرى نرى ان مصطلح الخطاب قد خضع لاجراءات نقدية وفكرية عدة وهذا الامر جعل كل اتجاه يسحب المصطلح الى دائرته ويسقط عليه مفهومه او نظرته، مما جعل كل اتجاه يستأثر بمفهوم خاص بالخطاب لا يعكس المفهوم المعرفي للمصطلح بقدر ما يعكس ذلك الحقل المعرفي او ذلك المنهج.

٤. لهذا كله فان مفهوم الخطاب مفهوم اشكالي، وان تحديده بمفهوم واحد امر لا يمكن القبول به نظراً للمفاهيم التي انعكست عليه والاجراءات التي تناولته على وفق التطور الذي لحقه بفعل السياقات التي اعطته هذه المفاهيم والدلالات، ولهذا ارى ان ندرس مصطلح الخطاب على ما يتكئ عليه من معان، تبلورت من خلال التطور الذي اكسب المصطلح افقاً اوسع واعطاه مرونة اكبر في التمظهر في اكثر من حقل معرفي نتيجة للمراحل التاريخية التي مرّ بها والتي كان لها الاثر الكبير في تجلي هذه المعاني في الثقافة الغربية عبر مفاهيم عدة تجلى من خلالها مصطلح الخطاب، مما جعل التيارات النقدية التي تناولت الخطاب تتأثر بهذه المفاهيم، بمعنى ان كل الذين تناولوا المصطلح من التيارات وجدوه لم يخرج عن هذه المفاهيم او المعاني التي تمظهرت من خلال: المفهوم الالسني، المفهوم التداولي، المفهوم السلطوي، المفهوم الثقافي.

اولاً: المفهوم الالسني

لا يخفى على الدراسين مدى التطور الكبير الذي شهده الفكر الانساني بعد الكشوفات التي توصل اليها دوسوسير واثرها على العلوم الانسانية في مطلع القرن العشرين، ولاسيما المبادئ العامة المتمثلة في ثنائياته في: اللغة/ الكلام، والدال/

المدلول، فضلاً عن تحديده -نتيجة لذلك- لبعض المصطلحات التي شكلت ارضية لاتجاهات ومناهج ادت دوراً بارزاً في الفكر النقدي، ولاسيما على مجريات الدراسة الالسنية واللغوية، فضلا عن ذلك تأثيره في الدراسات الانسانية الاخرى؛ فقد «غذى درس اللسانيات الحديث حقول المعارف الانسانية عامة بكثير من الفروض المفيدة، سواء كان على مستوى الاجراءات المنهجية المجردة او طرائق التحليل والوصول الى نتائج منظمة، ولقد استأثرت العلوم الانسانية كالادب والانثربولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع بحصة لابأس بها من تلك الفروض اللسانية، وكان ان حصل تفاعل خصب بين تلك العلوم من ناحية وبينها وبين اللسانيات من ناحية اخرى، ولقد اصبح النموذج اللساني معياراً قياسياً لدى كثير من العاملين في حقل العلوم الانسانية، واستفاد النقد الأدبي أيضا، شأن غيره من الكشوفات اللسانية».[٣٥]

وتأتي علاقة الخطاب بالالسنية فيما تناوله دوسوسير من التمييز بين اللغة والكلام إذ انه سعى إلى ان يعطي مفهوما جديدا لهذين المصطلحين واضعاً حداً فاصلا بينهما، اذ انه عدَّ اللغة جزءاً جوهريا من اللسان، وفي الوقت نفسه نتاجا اجتماعيا لملكة اللسان، فضلا عن ذلك فهي نظام ومؤسسة اجتماعية حركتها التكرار والثبات ومن ثم فهي ماضوية سلطوية؛ اما الكلام فهو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة، ويتصف بالاختيار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه انساقاً للتعبير عن فكره الشخصي، يستعين في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية، ولهذا فالكلام يولد خارج النظام، وضد المؤسسة، لانه السلوك اللفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتحرر، ومنه ينشأ المولود الجديد اللغوي المسمى لغة جديدة.[٣٦]

وعلى الرغم من معالجة دي سوسير مكونات العملية الكلامية وتمييزه بين الكلام واللغة الا انه اهتم باللغة من دون الكلام، لانه -في رأيه- فعل فردي

لا يمثل سوى بداية اللسان، او الجزء الفيزيائي، وهو مستوى خارج الواقعة الاجتماعية، ولانه فعل من ابتكار الفرد وللفرد طغيان دائم على الكلام، فقد طرح الفعل الفردي ولم يهتم به، الا ان الذي اهمله دوسوسير التقطه آخرون واظهروا في دراسته نشاطاً واجتهاداً، بمعنى ان ما كان عند دي سوسير مسألة هامشية صار عند المتأخرين موضوعاً مهماً واستبدلوا بالكلام parole نصاً او انجازاً او رسالة او خطاباً او اسلوباً، لينتج عن ذلك تقليص لاهمية اللغة بسبب ماضويتها وسلطتها لتحل محلها عبقرية الكلام الذي هو سلوك حي متمرد يعمل ضد السلطة والجمود وهو حر لانه كتلة نطقية تنتقل من مخاطب الى مخاطب فتصير خطاباً discours وهي سمة اكتسبت من العملية التخاطبية؛ لان الكلام اي الخطاب لا يولد الا بين الناس في توجه بعضهم إلى بعض وفي تخاطبهم.[٣٧]

لهذا فان الالسنيين الاوائل امثال (دي سوسير وهلمسلف وجاكبسون) لم يتحدثوا عن الخطاب صراحة، وانما نجد اول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الالسنية هو(بيسونس Buyssens) سنة ١٩٤٣، الذي رأى ان الخطاب يمكن ان يكون موضوع نظرية السنية.[٣٨]

ولان مصطلح الخطاب كما سبق ان تعددت وجهات النظر اليه بحسب الآليات التي اشتغل عليها اللسانيون في التحليل وبحسب فهمهم لمصطلح الكلام تبعاً لمنهجهم ذاك في عدهم اياه مرادفا للخطاب، فقد اختلفت تعريفاتهم للخطاب باختلاف فهمهم له، فضلا عن ذلك نرى التداخل الذي حصل نتيجة للمرادفات التي وضعت للكلام ايضا وبالاخص تداخل الخطاب مع النص او الرسالة... مما ولّد غموضا ضبابياً في تحديد اطار دقيق لمصطلح الخطاب.

وقد نقل احد الباحثين عن (ديبورا شيفرن) ثلاثة تعريفات، تمثل في مجملها هذا التعدد، بل التباين الناجم عن تعدد مناهج الدراسات اللغوية، مع نسبة كل تعريف الى منهجه، لان هذه التعريفات لا تعدو كونها تمثل مناهج معينة، فقد ورد مفهوم الخطاب عند الباحثين بوصفه واحداً من ثلاثة: بوصفه اكبر من الجملة، او بوصفه استعمال اي وحدة لغوية، او بوصفه الملفوظ[٣٩]، وهذا هو ما يمثل المعنى الالسني للخطاب.

اما المفهوم الاول فيتجسد فيه المنهج الشكلي، وذلك بوصفه تلك الوحدة الاكبر من الجملة، فتتجه عناية الباحث بعناصر انسجامه، وترابطه، وتركيبه، ومعرفة علاقة وحداته بعضها ببعض، بل مناسبة بعضها للآخر، الا ان وقوف اللسانيات عند حد الجملة في مفهومها للخطاب، ادى الى اختلافات كبيرة وعدم استقرار في ذلك، اذ «انه لا يكفي ان يقال ان الخطاب يتشكل من اكثر من جملة، فايراد عدد من الجمل بصورة اعتباطية مثلاً، هو –من منظور تحليل الخطاب– ابعد ما يكون عن ان يشكل خطاباً، ذلك بان اي نسق من الجمل لابد ان يترابط لكي يصنع خطاباً».[٤٠]

واما المفهوم الثاني فيمثل الاتجاه الوظيفي، اذ ينظر للخطاب بوصفه استعمال اللغة، وذلك بتجاوز وصف الخطاب وصفا شكلياً، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها وتحليلها، والدعوة الى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق، ومدى توظيفها في انتاج الخطاب وفي تأويله مثل دور العلاقة بين طرفي الخطاب، ودرجاتهم الاجتماعية وطرائقهم المعتادة في انتاج خطاباتهم، ولهذا نرى في تعريفاتهم التركيز على عناصر التأثير والتواصل وقضايا السياق والتلقي.

اما المفهوم الثالث الذي ينظر الى الخطاب بوصفه ملفوظاً فانه يمثل نقطة التقاطع بين المنهجين السابقين، اي بين البنية والوظيفة، وقد يتخذ من الجملة اساساً

له، ولكن ليس بمفهومها العرفي التجريدي، بوصفها تلك السلسلة من الكلمات، غفلاً عن اعتبار السياق، بل بمفهومها التلفظي في السياق، وهذا المفهوم يغفل الرؤية للخطاب على وفق المنهج الشكلي، اي بوصفه ما يزيد عن الجملة، ويعدل به عن كونه تراكماً من الوحدات اللغوية الصغرى التي لا سياق لها، الى كونه مجموعة من وحدات ذات سياقات تلفظية خاصة بها، اي ان الخطاب مكون من جمل سياقية[٤١]، ولذا نرى تعريف هاريس يركز على ان الخطاب «ملفوظ طويل او متتالية من الجمل».[٤٢]

إن هذا الاختلاف والتعدد في مفهوم الخطاب عند اللسانيين قد شكل ارضية خصبة لكثير من الدراسات والبحوث التي مهدت الطريق لتجاوز الاطار الشكلي للالسنية وذلك في طروحات (بنفست) لمسائل الوظيفة ودور الفاعل/ المتكلم في العملية المنطوقة، وخلص الى القول ان الكلمة تشكل نقطة فصل في ميداني اللغة وهما النظام الشكلي القائم على العلاقة والوحدة والنظام التواصلي او الخطابي القائم بين الوحدة والخطاب وهما معاً يشكلان نظام الدلالة في اللغة[٤٣]، وقد ادى هذا التطور الى ظهور اتجاهات ومناهج في دراسة الخطاب سواء كانت هذه المناهج موجهة الى دائرة الاتجاه اللساني، أم خارجها، اذ نتج عن ذلك ظهور ما سمي بـ (تحليل الخطاب) التي كان رائدها هاريس فهو الذي ابتكر المصطلح ووضع حدوده وعرفه اذ قال «ان تحليل الخطاب منهج في البحث في ايما مادة مشكّلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي، سواء اكانت لغة ام شيئاً شبيها باللغة، ومشتملة على اكثر من جملة اولية، او لنقل بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته... او اجزاء منه»[٤٤]، ولهذا اصبح لمنهج (تحليل الخطاب) مدرسة خاصة ولها مسارها الخاص الذي انطلق من الدائرة اللسانية؛ «وهناك توجه كامل في فرنسا يسمى بتحليل الخطاب Analyse du Dis – cours ويظهر باشكال مختلفة لخصها شرودو في اربع

منظومات هي المنظومة المنطوقة Enociatif والمنظومة الحجاجية Argumentatif والمنظومة السردية Naratif والمنظومة الخطابية Rhetorique وكل هذه المنظومات تابعة لكفاءة العلامة الالسنية)).[٤٥]

ثانياً: المفهوم التداولي

من الاتجاهات التي ظهرت بفعل المفاهيم المختلفة والدراسات المتعددة التي انصبت على الخطاب انطلاقا من الدرس اللساني، دراسة الخطاب تداوليا على وفق المعنى التواصلي، فكما قلنا سابقا إن الالسنية كانت الأرضية التي اتكأ عليها مفهوم الخطاب، بل ان الخطاب يعد نتاجاً طبيعياً لانجازات اللسانيين وما توصلوا إليه من نتائج، ولما كانت نظرية الاتصال في أساسها السنية، اذ بحثها الالسنيون في مجالات عدة لعل ابرزها (وظائف اللغة)، فاللغة في طبيعتها تؤدي وظائف متعددة لعل أهمها الوظيفة الاتصالية، ويعد جاكبسون ابرز من بحث موضوع وظائف اللغة من اللسانيين المحدثين، اذ كانت غايته في تحديد هذه الوظائف هي إيجاد الأرضية المشكّلة للعملية التواصلية، اذ حاول ان يحصر عناصر العملية التواصلية، في ستة عناصر؛ تمثل المرتكزات الاساسية في كل عملية تواصلية: المرسل (Destinateur)، والمرسل اليه (Destinataire)، والرسالة (Message)، والسياق (Contexte)، ووسيلة الاتصال او الصلة (Contact)، والشفرة (Code)؛ فكل كلام هو رسالة ينتجها مرسِل(مخاطِب)، الى مرسَل (مخاطَب)، عبر عملية ترميزية (شفرة) مشتركة يفهمها طرفا الرسالة، من خلال قناة تواصلية، وعبر سياق ترتبط به الرسالة؛ وقد جعل جاكبسون لكل طرف من هذه الاطراف الستة وظيفة لغوية، ولذا كانت هناك ست وظائف: الوظيفة الانفعالية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة الافهامية،

والوظيفة المرجعية، والوظيفة الانتباهية، والوظيفة المعجمية، ويظهر هذا في مخطط جاكوبسن:[٤٦]

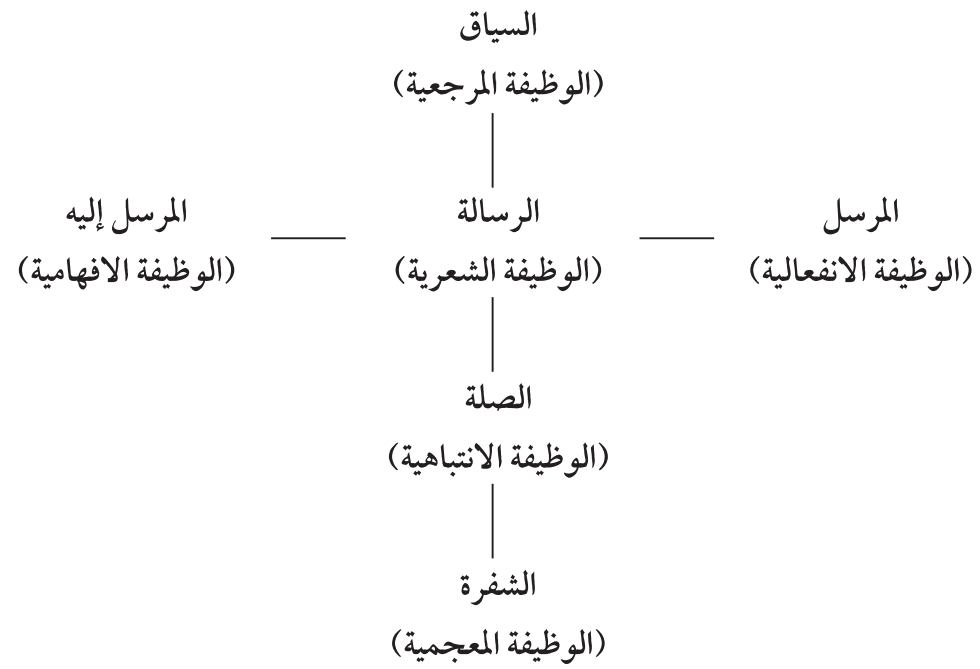

نتيجة لذلك فان الباحثين في موضوع الخطاب استفادوا كثيرا من دراسات الالسنيين لموضوع الاتصالية، لاسيما وان الخطاب في اساسه يتكئ على المعنى التواصلي، من اوجه عدة، لعل ابرزها ان المفهوم لا يتجه الى المعنى الكتابي فحسب بل يتعدى الى المعنى الشفاهي، ثم ان الخطاب في بنيته التركيبية يتألف من مخاطِب ومخاطَب وما لهذا من معنى الاتصالية التي تتطلب ذاتين متحاورتين عبر اتصال كتابي او شفوي، فضلاً عن ذلك وظيفة الخطاب التي تتحدد اساساً في التأثر والتأثير، «ان المتلفظ بخطاب يسعى الى ايصالنا لنتيجة او عدة نتائج عامة هي مقصده الاجمالي، وان كل شيء يقوله انما يقوله لنا ليقربنا او يبعدنا في بعض الحالات النادرة من هذه النتيجة»[٤٧]، بمعنى ان لكل صاحب خطاب مقصدا وظيفة تواصلية يحاول ايصالنا اليه من خلال خطابه عبر آليات ووسائل يشكل بها هذا الخطاب او ذاك.

وقد رأى بعض الباحثين ان هناك عدداً من العناصر التي تشترك في بلورة عملية التواصل في الخطاب، ويمكن معرفتها وفحصها من طريق النظر الى الخطاب نفسه، بوصفه الميدان الذي تتبلور فيه كل هذه العناصر، مما يحيلها على عناصر سياقية، وعناصر الخطاب السياقية اجمالاً، هي: (١) المرسل. (٢) المرسل اليه. (٣) العناصر المشتركة، مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة والظروف الاجتماعية العامة، بما تثيره من الافتراضات المسبقة والقيود التي تؤطر عملية التواصل؛ وقد يكون العنصر الاخير هو اكثر العناصر المهيمنة في الخطاب، لما لآثاره من انعكاس على العناصر الاخرى، ومن ثم على تكوين الخطاب نفسه؛ وعليه فان الخطاب، اي خطاب، يقوم على هذه العناصر الاساسية.[٤٨]

لذا ونتيجة لما سبق فان الخطاب لم يعد لصيقا بالدراسات الالسنية التي انطلق منها الخطاب والتي اختزلت الخطاب في بنيته الشكلية التركيبية (الجملة والملفوظ...)، وانما حاول الباحثون الخروج بالخطاب الى آفاق اوسع ودراسة اعمق ورؤية ابعد، «فمكونات الخطاب... التي تدرسها العلوم الانسانية هي مكونات لاتقبل الاختزال الى مظهرها الاشاري الصرف، كما هو معمول به في التوجهات الاختزالية ذات النزوع الموضوعي (السيكولوجيا السلوكية، اللسانيات البنيوية، البويطيقا الشكلانية) بل تتطلب انتاج معرفة بطابعها السيميائي الذي يجعل منها مكونات حية ومتفاعلة».[٤٩]

لهذا رأى اصحاب الاتجاه التواصلي ان الخطاب اساساً لا نستطيع اختزاله في كونه وحدة مثل الصوتيم او الجملة اذ لا وجود لقواعد لغوية تُطبق على الخطاب، فالخطاب ليس ظاهرة لغوية بقدر ماهو ظاهرة تداولية[٥٠]، وهذا ما دعا الباحثين لتطوير دراساتهم للخطاب بدراسة عناصره التواصلية، مما استدعى دراسة السياق

الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءاً من تحديده بمعرفة عناصره، ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب وتأويله، وكذلك افتراضات المرسِل عند انتاج خطابه ووسائله واهدافه ومقاصده، او التنبؤ بها، ومعرفة انواع السياق مثل السياق النفسي والاجتماعي، وادراك تأثير كل منها في توليد الخطاب والضوابط لكل ذلك، بمعنى آخر فان الباحثين حاولوا تحديد فعل التواصل في الخطاب، ومعرفة كيفية حدوثه، ومعرفة الاستراتيجيات التي يوظفها المرسل لتحقيق التواصل مع الآخرين، والعوامل التي تتدخل في اختيارها، وتأثير نظام اللغة المستعملة في تشكيل الخطاب التواصلي، انطلاقاً من ان التواصل هو نشاط اجتماعي يتم بين طرفين او اكثر، ويكون منظماً حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه، وذلك لتنسيق علاقات الناس.[٥١]

نتيجة لذلك ونظراً لقصور الدراسات الألسنية الشكلية في تحقيق هذه الغايات فان الباحثين عمدوا الى منهج يحقق لهم معاينة فاعلة للخطاب يمدهم برؤى متعددة، كما يسمح لهم بمعالجة اعمق للخطاب، وهذا ما وجدوه في المنهج التداولي الذي كان اكثر قرباً واعمق اثراً في دراسة الخطاب القائم اساسا على معنى التواصل، فالتداولية – في احدى تعريفات الدراسين لها تعنى بـ «دراسة المعنى التواصلي، او معنى المرسل، في كيفية قدرته على افهام المرسِل اليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله»[٥٢]، وهذا المنهج من خلال مفهومه هذا اقرب ما يكون الى مفهوم الخطاب القائم على الاتصالية وافهام الآخر، ولذا نجد ان التداولية في دراساتها قد شكلت ردة فعل على الدراسات الالسنية «اذ يرى ليفنسون ان الاساس الاول في نشوء المنهج التداولي كان مثابة ردة فعل على معالجة (جومسكي) للغة بوصفها شيئاً تجريدياً، او قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غفلاً عن اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها».[٥٣]

ولا يعني هذا ان التداولية شكلت قطيعة مع اللسانيات بقدر ما اتسعت في دراسة الخطاب، مستندة إلى ارضية متينة من انجازات اللسانيين ودراساتهم التي كانت موجهة الى الخطاب في اطار ضيق، ولهذا فان التداولية قد شكلت تطوراً لمسيرة الالسنية، اذ اغنت الدرس اللغوي وأعطته دفعة قوية أضاءت جوانب كبيرة في مجالات عدة وبالأخص موضوع الخطاب.

ثالثاً: المفهوم السلطوي

تعدّ السلطة احدى مرتكزات مفهوم الخطاب، إذ أن الخطاب ينطوي على معنى سلطوي يتمثل في الهيمنة والتأثير في الآخر ومحاولة إفهام المتلقي فهماً يعكس ما يريده المرسِل، فكل خطاب يجب ان يتوافر على طرفين مرسِل ومرسل اليه، ولكل من هذين الطرفين دورهما في الخطاب سلباً وايجاباً يكون احدهما آمرا والآخر مأموراً، وبهذا يتحقق معنى السلطة التي هي «عدم توازن في القوى، حيث يقع احد الطرفين فوق حد التوازن في اتجاه ما، في حين يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه. وينشأ عدم التوازن من مصادر عدة، من ذلك: قدرة الانسان اللغوية ذاتها، ووضعه الاجتماعي قياساً على الآخرين، والقيود التي يفرضها الموضوع، والفروق في العمر، وأشياء أخرى كثيرة».(٥٤)

ويتجلى دور السلطة بوصفها محدداً رئيساً في انتاج الخطاب وتأويله وتشكيله وفقاً للسياقات التي تتحرك فيها هذه الخطابات عبر تجليات عدة؛ ومن خلال عناصر سياقية مختلفة، تتمظهر في الخطاب لتشكل ادوات سلطوية تسهم في توجيه الخطاب الى الوجهة التي يريدها الفرد او التي تريدها المؤسسة.

والسلطة فيما يخص المرسِل –صاحب الخطاب– «اما مالك لها مسبقاً قبل التلفظ بالخطاب، او انه لا يمتلكها ولكنه يسعى الى ايجادها بالخطاب، وقد ينجح في ذلك بمجرد التلفظ به، وامتلاكها بالتلفظ هو ما يخرج السلطة من اطار المفهوم التقليدي الضيق، بالرغم من كونها تظل في جوهرها تمثل علاقة بين طرفين، وتتضح بشكل جلي في الخطاب»[٥٥]، وهذا لا يعني ان المرسِل فقط هو الذي يتشكل الخطاب به ومن خلاله، لان المرسِل لم يعد المؤثر الوحيد في بناء الخطاب واختيار استراتيجيته، بل ان هناك اكثر من عنصر من عناصر السياق تسهم في انتاج الخطاب، وكل عنصر يتمتع بسلطته، ومن ثم فهناك اكثر من بعد من ابعاد السلطة، فبعض هذه الابعاد سابق على انتاج الخطاب مثل سلطة اللغة وسلطة المجتمع، بما في ذلك مكان المرسل وزمان التلفظ بالخطاب، وكذلك سلطة المرسل اليه، وعلى هذا، فالمرسل لا ينتج خطابه مكتوباً او شفهياً جزافاً، بل ينتجه بعد ان يضع هذه العناصر السياقية في الحسبان.[٥٦]

وعلى الرغم من كل هذا فان سلطة المرسِل تظل هي المتحكمة والموجهة للخطاب؛ ذلك لان الخطاب اي خطاب لابد ان يتوافر على انا المرسل وبدونها لا ينهض اي خطاب بوظيفته ولا يستطيع ان يقوم بدوره الفاعل في دائرة سياقه الذي يتحرك فيه.

ولسلطة المرسل دور بارز ومهم في اختيار الاستراتيجية المناسبة للخطاب،اذ «ينتمي انتاج الخطاب الى كفاءة المرسل التداولية، وبالتالي فاختيار استراتيجية الخطاب ما هو الا تجسيد لفعلها... ولهذا فان الربط بين السلطة من حيث اثر وجودها وعدمها، وبين اختيار استراتيجية الخطاب، يعد مسألة ذات اهمية في انتاج الخطاب».[٥٧]

وتتجلى سلطة المرسل –ايضاً– في ان له اهدافاً وغايات يسعى من خلالها الى التأثير في المرسل اليه عبر انتاج الخطاب، متخذا آليات استراتيجية عدة مشكلاً بها خطابه وموجها اياه نحو هذه الاهداف، وقد رصد احد الباحثين المعاصرين ابرز هذه الاهداف، اذ حصرها في الاقناع، والامتاع، والافحام، وبناء على ذلك يحدد ثلاثة اصناف من الخطابات النقدية:

١. **خطاب الاقناع**: وفيه يرتكز خطاب النقد على سلطة الحجة العلمية، تحقيقاً لمقصدية معينة: اقناع المتلقي... والاقناع –من ثمة– عملية تفاعلية، يحصل بموجبها تغيير المعتقد النقدي، بالذي يجب ان يكون لدى المتلقي.

٢. **خطاب الامتاع**: وفيه تطغى ذات المتلفظ، من خلال آليات وعلاقات محددة، ومن ثمة، تظل الذات محور الخطاب، في حين يتم تهميش المتلقي والمرجع على حد سواء، بفضل آليات خطابية متنوعة.

٣. خطاب الافحام: وهو الخطاب السجالي الذي يقوم على مهيمنات تلفظية تتوافق والاستراتيجية الافحامية، وان اهم ما يميز قاعدة الاستراتيجية الافحامية، امتلاك سلطة التلفظ وآلياته، قصد اسكات المتلقي، لاقناعه، او امتاعه، ومن ثمّ، تبرز الافحامية استرايتجية تخون الوظيفة الحجاجية والعلمية. ان الانواع الثلاثة من الخطابات، تشكل خانات ثلاثاً، تقوم بدورها على ثلاثة اصناف من المنطق التلفظي بحيث تغلب اصناف محددة من العلاقات والآليات التلفظية: منطق الاقناع؛ سلطة الملفوظ، الخطاب الاكاديمي الجامعي. منطق الامتاع؛ سلطة المتلفظ، الخطاب الانطباعي. منطق الافحام؛ سلطة التلفظ، الخطاب السجالي (الايديولوجي).[٥٨]

بناء على ما تقدم فان السلطة تشكل مرتكزاً أساسيا في مفهوم الخطاب، ولهذا فان هناك من يرى «ان الخطاب نفسه سلطة»[٥٩]، وهذا ما يؤكده رولان بارت، فالسلطة عنده قائمة كامنة في كل خطاب نقوم به، حتى وان كان يصدر من موقع خارج السلطة.[٦٠]

رابعاً: المفهوم الثقافي

سعى بعض المفكرين المعاصرين إلى تكوين مفهوم للخطاب ينطوي على الحفر في مفهوم المصطلح ودراسته على وفق مفهوم اعم واشمل، مستفيدين من الطروحات المعاصرة للفكر الغربي السنياً وفلسفياً وفكريا واتصالياً، اذ حاول بعضهم ان يشكل استراتيجيات وأسسا يسعى من خلالها إلى إيجاد طرق جديدة للنظر إلى كثير من القضايا الفكرية والثقافية، التاريخية والاجتماعية، موظفاً مفهوم الخطاب على وفق هذا المعنى، ومحملاً إياه معاني جديدة عاكسة للنظرة المعاصرة لرؤية القضايا، وهذا ما نجده في طروحات المفكر الفرنسي ميشيل فوكو وبالأخص توظيفه لمفهوم الخطاب في كتاباته.

ولما كانت اللسانيات الحديثة ومنذ مطلع القرن العشرين قد قررت ان الكلمة لا تحيل على الشيء، انما على معناه، فقد ترتب على ذلك ان الخطاب لا يحيل على المرجع، انما على الانظمة التي تؤطره وتحدد مساره[٦١]، ولذا انطلق فوكو من هذا المنظور، اذ رأى ان للخطاب دوراً واعياً يتمثل في الهيمنة والقوة التي يمارسها في حقل معرفي او مهني اصحاب ذلك الحقل على اهلية المتحدث وصحة خطابه ومشروعيته، مما يشير بوضوح الى ان انتاج الخطاب وتوزيعه ليس حراً او بريئاً كما قد يبدو من ظاهره.[٦٢] يقول فوكو: «افترض ان انتاج الخطاب في مجتمع ما هو في الوقت نفسه انتاج مراقب اومنتقى ومنظم ومعاد توزيعه من خلال عدد من الاجراءات التي يكون دورها

هو الحد من سلطاته ومخاطره والتحكم في حدوثه المحتمل واخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة».[٦٣] ولهذا فان الخطاب اضحى سلطة مادية تملك القوة والقدرة وتتضمن مخاطر ومخاوف وتحمل صراعات وما تسفر عنه من انتصارات وهزائم، من تحرير واستعبادات، سلطة تعبر الذات والمؤسسة على السواء، وتؤسس وجودها المستقل، هذا الوجود الذي يخيف الذوات، والمؤسسات والمجتمعات، لذا يسعى المجتمع وخاصة المجتمع الغربي -كما يشير فوكو الى ذلك- الى فرض اشكال مختلفة لمراقبة الخطاب وسلطته.[٦٤]

وعلى هذا الاساس فقد عمل فوكو على تأسيس مفهوم جديد للخطاب لا يقوم على اصول السنية او منطقية بل يتشكل اساساً من وحدات سماها بالمنطوقات، هذه المنطوقات تشكل منظومات منطوقية، تسمى (بالتشكيلات الخطابية)* هذه التشكيلات تكون دائماً في حقل خطابي معين، وتحكمها قوانين التكوين والتحويل؛ ولهذا يختلف الخطاب عن الجملة والقضية، كما يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللغة والتحليل المنطقي، ذلك ان تحليل الخطاب يعتمد على الوصف الاركيولوجي والتحليل الجنيالوجي، من اجل الكشف عن ندرة الخطابات وخارجيتها وتراكمها وقبليتها، او بتعبير دقيق يقوم على التحليل التاريخي للخطابات، فضلاً عن ذلك فانه قرر ان مرجعية الخطاب لا تعود الى الذات او الى المؤسسة او الى الصدق المنطقي او الى قواعد البناء النحوي، وانما الى (الممارسة الخطابية)** وغير الخطابية على ان لا نفهم العلاقة بين الممارسات على اساس السبب والنتيجة، وانما على اساس العلاقة التبادلية[٦٥]، فالخطاب اذن يتحدد بوصفه منظومة من القواعد التي تميّز مجموعة من المنطوقات التي تنتظم داخل الممارسة الخطابية، وهو منظومة تسمح بتكوين مواضيع البحث، وتوزيعها، وتحدد انماط القول، ولعبة المفاهيم والاحتمالات النظرية[٦٦]، ولهذا عرف الخطاب بانه «ممارسات من خلالها تتكون وبكيفية منسقة

الموضوعات التي نتكلم عنها»[٦٧] وانتهى فوكو -بعد ذلك- الى وضع تعريف للخطاب يعكس رؤيته الشاملة له ونظرته المعاصرة، اذ حدده بانه «شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه».[٦٨]

اذن فالخطاب معرفة وقوة منتجة ومهيمنة في وقت واحد، وان القوة الحقيقية تتم ممارستها خلال الخطاب، وان هذه القوة تحدث آثاراً حقيقية، ولذا فان الخطاب -فيما يقرر بوفيه- هو ما يسمح بقيام النظم والمؤسسات التي تدعم تلك الخطابات وتنشرها، يقول (بوفيه): «ترتبط هذه الخطابات بالمؤسسات الاجتماعية التي تمتلك القوة بالمعنى المألوف نفسه الذي نقصده عندما نستخدم هذه العبارة؛ فهذه المؤسسات في وسعها ان تتحكم في الاجسام والافعال، ولكن لديها ما هو اكثر من امتلاك القوة حين تعنى العبارة قدرتها على الهيمنة على الآخرين، ان الخطابات وما يتعلق بها من نظم ومؤسسات هي وظائف للقوة؛ فهي تنشر الآثار الناتجة عن القوة، انها بدائل القوة عبر النظام الاجتماعي الحديث في جملته».[٦٩]

ان هذه الرؤية للخطاب قد طورت مفهوماً في المصطلح ممثلاً في مفهوم السلطة والهيمنة والقدرة على التأثير ذاتياً ومؤسساتياً، إذ أسست هذه الرؤية آلية جديدة في التعامل مع الخطاب، عبر ايجاد سياق دلالي اصطلاحي ثنائي الجانب (تنظيراً وتطبيقاً) ينزع الى كشف الانظمة الثقافية المؤسساتية وفضحها من خلال اسلوب جديد في القراءة، يسعى إلى «نقل النظر من (النص) الى (الخطاب)، وتأسيس وعي نظري في نقد الخطابات الثقافية والانساق الذهنية، والوقوف على(فعل) الخطاب وعلى تحولاته النسقية، بدلاً من الوقوف على مجرد حقيقته الجوهرية، والتاريخية او الجمالية».[٧٠]

ان معنى الخطاب بهذا المفهوم ادى الى شيوع استخدامه في مجالات اكثر سعة وارحب مما كان عليه، اذ دخل في مناطق كثيرة من قضايا الانسان المعاصرة فكريا وفلسفيا.. سياسيا واعلاميا.. نقديا وادبياً...، يقول علي حرب: «ان الخطاب لم يعد طريقة للتعبير او حديثاً متساوقا، او مجموعة عمليات فكرية مترابطة او تجلياً لذات واعية، تتأمل وتعرف وتعبر، وانما اصبح امكانا وشرط وجود ونظاما. اصبح حقلاً تتمفصل فيه الذوات ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له، وهذا التحول الابستيمولوجي في تناول اقاويل البشر يعتبر رائده المفكر الفرنسي ميشال فوكو الذي هو اول من انشأ نظرية في وصف المقال كميدان مستقل».(٧١)

ان معنى (الخطاب) في دلالته المعاصرة، استحال الى مفهوم منتمٍ الى مرحلة ما بعد البنيوية، مفهوم لا يهتم بالاشياء في ذاتها او بتحليلها، ولكنه يهتم بالكيفيات التي تعمل بها الاشياء، لا يهتم بالمعرفة قدر اهتمامه بطرق انتاج المعرفة ووسائل هذا الانتاج، ومن هنا تطرح مجموعة من الاسئلة تكشف عن ماهية الخطاب وتحدد دائرته من مثل: كيف يؤدي الخطاب وظيفته؟ واين يمكننا الوقوف عليه؟ وكيف يتم انتاجه وتنظيمه؟ وما الآثار الاجتماعية الناجمة عنه؟ وكيف يوجد: هل يوجد مثلاً بوصفه مجموعة من الوقائع المنفصلة التي تترابط تصاعدياً في مستويات متدرجة؟ او بوصفه سيلاً مستمراً من التحولات اللغوية والمؤسساتية؟(٧٢)

مفهوم الخطاب والخطاب النقدي في رأي البحث

نستنتج مما سبق ان الخطاب مفهوم يرتكز على قاعدة متينة من المفاهيم والدلالات، وان كل معنى من معاني الخطاب التي اوردناها –سواء في الثقافة العربية او الثقافة الغربية– انما تشكل في مجموعها مصطلح الخطاب، اما الاختلافات

في تحديد هذا المصطلح فهي انما تعكس في طبيعتها الرؤى الخاصة بالمرجعيات الفكرية والثقافية والمعرفية التي انطلقت منها كل ثقافة او مدرسة او مؤسسة في نظرتها الى الخطاب وما تمخض عن تلك النظرة او هذه الرؤية من مفاهيم عبرت بشكل واسع عن سعة الافق التي يتميز به هذا المفهوم وامتداده، بقدر ما عبرت عن تعدد الاتجاهات التي تناولت مفهوم الخطاب وعالجته من زوايا عدة كل اتجاه سعى الى سحب المصطلح الى دائرته والنظر اليه وفقاً للمرجعيات الخاصة بذلك الاتجاه او تلك المدرسة، مما جعل هذا المصطلح يلتبس عند بعض الدراسين نتيجة ذلك، ووصل الامر الى تعدد المفاهيم والتعريفات التي حاولت ان تؤصل او تنتج مفهوماً خاصاً للمصطلح.

ولذلك فاننا اذا ما اردنا ان نتبنى مفهوماً خاصاً بنا يتلاءم ومتطلبات دراستنا وموضوعنا، فانه لابد ان تكون منطلقاتنا في ذلك معاني الخطاب التي اوردناها سالفاً، والمتمثلة في (المعني اللغوي/ الالسني) و (المعنى التداولي) و (المعنى السلطوي) و (المعنى الثقافي)*، فضلا عن عدم تجاهلنا لمفهوم المصطلح في الفكر الفلسفي الغربي، بمعنى ان تكون نظرتنا في تحديد مفهوم الخطاب نظرة تكاملية شاملة ومستوعبة لكل المعاني التي يتكئ عليها المصطلح، وبهذا نستطيع ان نصوغ تعريفا يعكس نظرتنا للخطاب على وفق مرجعياتنا ومفهومنا الخاص للمصطلح، ومن ثم تكون رؤيتنا للخطاب متوافقة ومنهجية تناولنا لموضوع الدراسة المتمثل في (الخطاب النقدي).

ولذا فاننا نرى ان الخطاب هو عبارة عن منظومة من الافكار والتصورات والرؤى والمفاهيم مصاغة في اطار لغوي و (نظام استدلالي)، صادرة من مخاطِب (مرسِل)، وموجهة الى مخاطَب (مرسل اليه)، هدفها الابلاغ والتأثير في المتلقي، عبر

آليات تواصلية متفق عليها بين الباث والمستقبل، ومن خلال منطلقات (مقولات) تشكل في مجموعها ما يسمى بـ(الخطاب).

فالافكار والتصورات... اذا تشكلت في اطار لغوي، واعتمدت آلية في التوصيل بين الباث والمتلقي، واستندت في طرحها إلى قاعدة منطقية استدلالية، فانها ترمي الى ايجاد حالة (الاقناع) عند المتلقي بهدف التأثير فيه، مما يشكل فيما بعد مضمونا مؤثراً يفرض وجوده بسبب من قوته وقاعدته من المتأثرين (المستقبلين)، وبهذا نستطيع ان نسمي ذلك خطاباً.

وهذا المفهوم والتوصيف للخطاب لا ينطبق على جانب من جوانب المعرفة بل يشمل جوانب المعرفة التي تخضع لهذا التصور للخطاب، وعليه فان للخطاب مجالات متعددة بتعدد المعرفة التي تنتج خطابات متنوعة تعتمد الأسس والآليات التي تصدر عن المؤسسات والافراد الذين يسعون الى طرح افكارهم ورؤاهم التي تعكس تصوراتهم للقضايا، بقدر ما تعكس غاياتهم للتأثير في الآخر، وعليه فهنالك الخطاب النقدي، والخطاب الادبي، والخطاب الديني، والسياسي، والفلسفي... الخ.

لذا فان الخطاب النقدي ووفقا لما سبق انما يتحدد بكونه عبارة عن منظومة تتشكل من مجموعة من الافكار والآراء والطروحات النقدية التي هي انجازات معرفية تطرح اسئلة حضارية، تعي واقعها، وتدرك ضرورة طرحها، يضبط هذه الطروحات والافكار نظام دلالي يعكس تماسك الخطاب وانسيابية طرحه، ووحدة رؤاه، بقدر ما يعكس تأثر هذه الطروحات وتأثيرها في الواقع الثقافي، خاضعا للانساق الثقافية التي احاطت بالخطاب وشكلت محتواه.

وفقا لذلك فاننا نرى ان مصطلح الخطاب يجب ان لا يطلق على (النقد) فحسب، ولا على (نقد النقد)، او الـ(الميتا نقد)*، فاذا كان (النقد) موضوعه النص الادبي، و(نقد النقد او الميتا نقد) يبحثان في النصوص النقدية التي توجهت للنص الابداعي، فان الخطاب النقدي هو مجموع كل تلك النصوص النقدية التي التأمت في منظومة فانتجت خطاباً قائماً على مجموعة من الطروحات التي تشكل نسقاً تراتبياً منظما مرتكزاً على اسسٍ ومنطلقات تمثل الارضية التي يقوم عليها الخطاب** بمعنى ان النقد ونقد النقد(او الميتا نقد) هما اللذان يشكلان الخطاب النقدي، أي ان النقد ونقد النقد هما جزء من منظومة متكاملة اسمها الخطاب النقدي.

ولذا –ونتيجة لما سبق– فان دراسة الخطاب تغدو مختلفة عن دراسة النصوص النقدية عند ناقد معين او عند مدرسة ما، والامر نفسه بالنسبة لنقد النقد (او الميتا نقد)، فالخطاب له آليات خاصة في دراسته، ومعالجة طروحاته، وتشكله، فهو ليس نقدا لنص او نقدا على نقد، او هو تعليقات هنا وهناك، بقدر ما هو كشف لآليات التشكل، والبحث في المرجعيات المعرفية والثقافية والفكرية التي ساهمت في انشائه ووجوده، بمعنى انه يبحث في المؤثرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي اوجدته، انه بحث في المنطلقات والمقولات التي تشكل منها الخطاب وانطلق منها في تأسيس خطابه وانتظامه في نسق ثقافي مستقل، وحتى تناوله للنصوص النقدية التي تشكل الخطاب منها، فان دراسة الخطاب لا يقف عندها معلقاً او شارحا او مضيفاً او منشئاً لنص نقدي على نص نقدي آخر بقدر ما تكون نظرته الى تلك النصوص من حيث آليات التناول والبحث، بمعنى محاولة فهم الاستراتيجيات والاسس التي قامت عليها تلك النصوص النقدية ومحاولة فهمها في سياقها الثقافي الذي شكلها؛ يقول الدكتور عبد السلام المسدي: «فالنقد خطاب، وكل خطاب يتحدد باطراف التخاطب فيه واكثرها ايقاعاً المخاطب الفاعل للخطاب والمخاطَب المفعول له

الخطاب ثم مضمون الخطاب، وجوهر التمحيص في ما يسمى اليوم بعلم الخطاب هو دراسة استراتيجيات الكلام من خلال اطراف الجهاز التواصلي، فالانسجام الداخلي بين مكونات نظام التخاطب هو الذي يحول العملية الى تواصل بالمعنى الاول غير الفني، ذاك الذي يؤكد المحاورة ويثبت ان الطرفين قد فهم كلاهما الآخر فهماً بالدلالة، فيكونان قد " تفاهما " من حيث قد اشتركا في رسم حدود المعنى وهو ما لا يفرض اتفاقاً في الموقف، ولا يستوجب منحى في التأويل»[٧٣]، وهذا الذي نراه هو ما يصب في خدمة المسيرة النقدية ومحاولة توجيه خطاباتها نحو سياق حضاري ينشد السمو والرقي ازاء التراكم المعرفي النقدي والتحديات التي تواجه الذات العربية وكيانها، فنحن «ازاء هذا التطور والتراكم المعرفي في مسار النقد العربي الذي يعبر بدوره عن تغير في بنيات المجتمع واشكال وسياقات المثاقفة، تنهض مهمة حيوية من مهمات النقد هي ضرورة وعي النقد لذاته وتفكيك خطابه، من خلال اعادة النظر في ادواته ومراجعة مسلماته وتمحيص ممارساته، من اجل استكشاف الاكراهات التي تحول دون النهوض بمهماته المعرفية والثقافية»[٧٤]، ولا نرى تحقق ذلك الا باعادة تقييمنا للخطاب النقدي بالشكل الذي ارتأيناه في دراسته والذي يحقق تقييماً واعيا لحركتنا النقدية ومسارها الثقافي الذي ننشد منه ارتقاءً نوعيا يفي بمتطلبات المرحلة وتحدياتها.

---

١. حول حدود استحضار المقدس في الامور الدنيوية: ملاحظات منهاجية، ابراهيم أبراش، مجلة المستقبل العربي، بيروت ع:٥:١٩٩٤، ١٨٠.

٢. ينظر: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، المختار الفجّاري، مجلة الفكر العربي المعاصر ١٩٩٣،ع:١٠٠-١٠١: ٣٠

٣. سورة يوسف:٥١

٤. سورة القصص: ٢٣

٥. ينظر: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية:٣١
٦. سورة هود: ٣٧
٧. سورة ص: ٢٠
٨. تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٧٧
٩. المصدر نفسه: ٤/ ٧٧
١٠. التفسير الكبير او مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ٢٦ / ١٦٤
١١. ينظر: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية: ٣١
١٢. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة خطب ٤/ ١٣٥، وينظر: تاج العروس: مادة خطب ٢/ ٣٧٦، تفسير الكشاف: ٤/ ٧٧
١٣. ينظر: مقاييس اللغة،ابن فارس بن زكريا: مادة خطب: ٣٠٤
١٤. ينظر: محيط المحيط، بطرس البستاني: مادة خطب
١٥. لسان العرب: مادة " خطب ٤/ ١٣٥
١٦. المصدر نفسه: ٤/ ١٣٥
١٧. ينظر: تاج العروس: مادة خطب ٢/ ٣٧٥-٣٧٦
١٨. ينظر: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية: ٣١
١٩. ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون: ١/ ٢٤٣.
٢٠. ينظر: مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية والنقدية، د. جمعان عبد الكريم، منتدى اللسانيات " انترنت ".
٢١. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي: ١٣٦
٢٢. الكافية في الجدل، الجويني: ٣٢
٢٣. ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الانساق والمفاهيم ورهانات العولمة، د. عبدالله ابراهيم: ٩٩
٢٤. ينظر: المصدر نفسه: ٩٩
٢٥. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ٢/ ١٧٥
٢٦. المصدر نفسه: ٢/ ١٧٥
٢٧. ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ٩٩
٢٨. ينظر: تحليل الخطاب الادبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار: ١٢، وينظر ايضاً: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د. الزواوي بغورة: ٨٩-٩٠، آفاق العصر، د. جابر عصفور: ٤٨

٢٩. ينظر: تحليل الخطاب الادبي وقضايا النص: ١٢.ونلاحظ هنا ان المعنى الدلالي لكلمة " خطاب " كما نتداوله اليوم جاء متأخراً بالنسبة الى اللغة اللاتينية اذا ما قارناه باللغة العربية التي استطاعت ان تضبط مفهومه قريباً مما هو متداول اليوم وفقاً للسياق الثقافي العربي الذي نما وترعرع فيه المصطلح آنذاك كما سبق في الفقرة السابقة.

٣٠. ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة دراسة ومعجم انجليزي – عربي، د. محمد عناني: ١٩-٢٠-٢١

٣١. ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ١٠٣

٣٢. ينظر: مادة " مقال "، علي حرب، منشور ضمن الموسوعة الفلسفية العربية: ٧٧١، نقلا عن: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٢.

٣٣. ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩١-٩٢

٣٤. ينظر: هل النص هو الخطاب، د. ابو شامة المغربي، منتدى اسواق المربد " انترنت ". وينظر: آفاق العصر: ٤٨.

٣٥. الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ١٠٧

٣٦. ينظر: اللسانيات وتحليل الخطاب، د.رابح بوحوش: ٨٤، وينظر ايضا: فرديناند دي سوسير(اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، جوناثان كلر، ت: د. عزالدين اسماعيل: ٨٥-٨٦، ١٤٦-١٤٧.

٣٧. ينظر: المصدر نفسه: ٨٧، وينظر: فرديناند دي سوسير (اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات): ١٥٧-١٥٨.

٣٨. ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٠

٣٩. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣٧

٤٠. مقدمة الدكتور عز الدين إسماعيل – في ترجمته لكتاب " مقدمة في نظريات الخطاب" لمؤلفتها ديان مكدونيل: ٣٠

٤١. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٨. ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل – في مقدمته القيّمة لترجمة كتاب " مقدمة في نظريات الخطاب": ان هناك اتجاهين اساسيين برزا في الدراسة اللغوية للخطاب وليس ثلاثة، اذ يتعلق احدهما بالصيغ اللغوية، ويتحرك الثاني على مستوى التفسير، فالخطاب شكل من اشكال الاتصال، يتحقق باللغة ومن خلال اللغة، وفي قلب الاتصال يستقر المتكلم / الكاتب، ولكن الاتصال يفترض كذلك طرفاً آخر لازما لاكتماله الا وهو المستمع / القارئ، الذي يستقبل ويفسر ويستنبط، ودراسة الخطاب على هذا الاساس تتوسط بين منحيين في التناول مختلفين اولهما يقوم على دراسة الجمل في ذاتها

منفصلة عن سياقات الاتصال التي وردت فيها، وثانيهما يقوم على مناصرة المنحى الفردي في تفسير كل جزء من اجزاء الخطاب. ص: ٣٢

٤٢. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين: ١٧

٤٣. ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٠-٩١

٤٤. مقدمة الدكتور عز الدين إسماعيل - في ترجمته لكتاب " مقدمة في نظريات الخطاب": ٣٠

٤٥. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٠-٩١

٤٦. ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكبسون: ٢٧، ٣٣

٤٧. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ت: د.سيف الدين دعفوس ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة - بيروت: ٢١٦-٢١٧

٤٨. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٣٩-٤٠

٤٩. تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، محمد الحريش، مجلة كلية الآداب - تطوان، ع: ٩، ١٩٩٩، ١٥٩:

٥٠. ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢١٥

٥١. ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٩، وينظر ايضا: نحو توسيع مفهوم الخطاب: مقاربة سيميائية تواصلية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، مجلة فصول، ع: ٧٧، شتاء/ ربيع ٢٠١٠: ٨٠

٥٢. تنظر: مراجع كتاب: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢، وهناك تعريفات كثيرة للتداولية وهذه التعريفات تنطلق وفقاً لنظرة الباحث نفسه ومجال اهتمامه فقد يعرفها، انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، ومنها الاشاريات، بما في ذلك طرفا الخطاب، وبيان دورهما في تكوين الخطاب، ومعناه، وقوته الانجازية؛ وقد تعرّف التداولية من وجهة نظر المرسل بانها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه؛ ومن هذه الرؤى المتعددة، تغدو التداولية في مفهومها العام هي " دراسة الاتصال اللغوي في السياق "، وهذا هو ما يسمح بدراسة اثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه كما يقصد المرسل. ينظر:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢

٥٣. تنظر مراجع: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢١

٥٤. تنظر مراجع المصدر السابق: ٢٢٤

٥٥. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢٣

٥٦. ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٣-٢٢٤

٥٧. المصدر نفسه: ٢٣٥

٥٨. ينظر: الدليل والنسقية؛ التواصل: المعرفة والسلطة، عبد الرحيم العماري: ٩٩-١٠٠

٥٩. تأصيل الخطاب في الثقافة العربية:٣١، وينظر ايضا: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢٠

٦٠. ينظر: درس، رولان بارت، ت: د. عبد السلام بن عبد العالي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، رام الله، فلسطين، ع: ١٨، ١٩٨٥: ٢٤

٦١. ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ١٠٦

٦٢. ينظر: دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي: ١٥٦

٦٣. نظام الخطاب: ٩

٦٤. ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ١٣٦

* يستخدم فوكو هذا المصطلح للدلالة على مجموعات من الملفوظات المردودة الى نظام واحد من القواعد المحددة تاريخياً، وفوكو بتوظيفه هذا المصطلح يسعى الى تحاشي الوحدات التقليدية من قبيل (نظرية) و(ايديولوجيا) و(علم)، ومصطلح (التشكيلة الخطابية) يطرح فرضية مؤداها (بالنسبة لمجتمع ما ومكان ما وزمان ما، إن جزءا ما فقط يتم الافصاح عنه وان هذا الجزء يكوّن نظاماً ويحدد هوية). ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ت: محمد يحياتن:٦١-٦٢

** جاء استخدام فوكو لهذا المصطلح للدلالة على ((مجموعة من القواعد الخفية والتاريخية محددة دائماً في الزمان والمكان، والتي تحدد في فترة معينة، ولرقعة اجتماعية واقتصادية وجغرافية او لسانية معينة، شروط ممارسة الوظيفة التلفظية)) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٠٣

٦٥. ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي بغورة: ١٤٣

٦٦. ينظر: مادة " مقال "، علي حرب، منشور ضمن الموسوعة الفلسفية العربية: ٧٧١، نقلا عن: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٢.

٦٧. حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ت: سالم يفوت، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦: ٤٧

٦٨. دليل الناقد الادبي: ١٥٥، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٤

٦٩. ينظر: مقدمة الدكتور عز الدين إسماعيل، في ترجمته لكتاب مقدمة في نظريات الخطاب: ٦٠ .

٧٠. النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذّامي: ١٣

٧١. ينظر: مادة " مقال "، علي حرب، منشور ضمن الموسوعة الفلسفية العربية: ٧٧١، نقلا عن: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٢.

٧٢. ينظر: مقدمة الدكتور عز الدين إسماعيل – في ترجمته لكتاب " مقدمة في نظريات الخطاب": ٦١

* ولا يعني هذا اننا نقصر هذه المفاهيم على الثقافة الغربية فحسب بل حتى الثقافة العربية التي نظرت الى الخطاب برؤية لا تبتعد كثيرا عما ورد عند الغربيين.

*هناك من الدارسين من يرى ان (نقد النقد) يختلف عن (الميتا نقد) الا اننا نرى ان المصطلحين لا يختلفان، ينظر: نقد النقد ام الميتا نقد، د.باقر جاسم محمد، مجلة عالم الفكر، مج: ٣٧، يناير – مارس، ٢٠٠٩: ١٠٧

** لذا فاننا لا نتفق مع كل الطروحات التي رأت ان (النقد) او (الميتا نقد) هما خطاب بحد ذاتهما، كمثل تحديد بارت لموضوع النقد على انه خطاب فهو خطاب على الخطاب هو لغة ثانية او ميتا لغة او ما فوق اللغة، ينظر: سيميولوجيا بارت، جورج مونان، ت د. مي عبدالكريم محمود، ٧٧، مجلة الموقف الثقافي، العدد ٩ لسنة ١٩٩٧، و ينظر ايضاً: الخطاب النقدي عند مصطفى ناصف كتاب بعد الحداثة انموذجاً، ورقاء يحيى قاسم حياوي المعاضيدي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب / جامعة الموصل: ٢٩.

٧٣. الادب وخطاب النقد، د. عبد السلام المسدي: ٣٦

٧٤. نقد النقد ام الميتا نقد، د.باقر جاسم محمد، مجلة عالم الفكر، مج: ٣٧، يناير – مارس، ٢٠٠٩: ١٠٩.